

محاكاة النماذج المشهورة في تاريخ النثر العربي ،
وتحويل الجاد منها الى صور ساخرة عابثة مليئة بالبذاء
والفحش أحيانا ، حادة نافذة لذاعة في أحيان أخرى ،
ولا نعدم أن نجد في بعضها غايات اصلاحية وتقدا بناء ،
كما أن كثيرا منها انتقامي ذاتي موجه الى بعض أعلام
عصره - تصريحا او تعريضا - .

ففي احدى الرسائل يصور الوهراني جوامع
الضياع في الشام وقد تجمعت وذهبت وافدة الى «ملك
الجوامع» - المسجد الاموي - تشكو اليه ما أصابها من
خراب ، حاملة معها رقعة من انشاء جامع النيرب ، جا.
في فاتحتها : «المالك مساجد الكورة يقبلون الارض بين
يدى الملك المعظم الرفيع المكرم ، كهف الدين ، جمال
الاسلام والمسلمين ، بيت الاتقياء والصالحين ، مدفن
الانبياء والمرسلين وينهون اليه ما يقاسون من جور
العمال وتضييع الاعمال ونهب الرقوف وخراب
الحيطان» (5) ويطل «ملك الجوامع» على هذا الوفد
فيبكي لما يراه من اختلالهم وسوء حالهم ، وعندئذ
يتندر جامع المزة بخطاب يشكو فيه حال المساجد التي
دخلت من الراكع والساجد ، فأصبحت جوامع القوطة
غيطان ، لا سقف لها ولا حيطان ، ومشاهد البقاع ،
صفصفا كالقاع ، ومساجد حوزان ، مخازن وأفران ، (6).
فيجيب الجامع الاموي بأن المسؤول عن ذلك كله هو
الشيخ أبو سعد بن ابي عصرون (7) ، ولهذا يوجه
اليه رسالة نائرة هاتجة يقول فيها : «أما بعد ياخذار
فقد هيجت الالم ، وأبهمت الظلم ، ومن استرعى ظالما
فقد ظلم ، كم تفاضينا عن خياناتك ، وتغافلنا عن
جناياتك ، حتى اكتنزت الاموال واخذرتها ، وجمعت
الذخائر واعتزلتها ...» غير أن ابن ابي تصرون لم
يذعن لهذا الوعيد بل رد على رسالة الجامع الاموي
برسالة أشد عنفا ، ساق فيها التهم للجامع نفسه ،
وعد ما أصابه من خراب وحريق نكالا من الله . فلما
وقف الجامع على هذه الرسالة قام وقعد وابرقت وأرعد

وكتب رسالة الى السلطان يشكو فيها ابن ابي عصرون ،
فما كان من السلطان الا أن عزله وألقاه في السجن .

فهذه الرسالة صورة مما يحدث في المقامات
السياسية او القضائية ، في مجلس يقوم فيه واحد
بعد آخر ليبدى رأيه ، وهي تذكرنا بما أقبل عليه
الاندلسيون من تصوير اجتماع صنوف الازهار في
مجلس واحد لتبايع نوعا من الزهر - هو الورد في
الغالب - وكل زهر منها يقدم بين يدي البيعة بخطبة ،
ثم تكتب الازهار «صورة» البيعة للزهر الذي اجتمعت
الآراء على تقديمه (8) . كذلك فانها تذكرنا بقيام الخطباء
بين يدي بختيار بن معز الدولة البويهى عندما اعتدى
الروم على حدود الدولة الاسلامية عام 363 ، ففى
مجلس صوره أبو حيان التوحيدى فى كتابه «الامتاع
والمؤانسة» (9) على طريقتة الخاصة فى تصوير مثل
هذه المجالس . ولا أستبعد أن يكون الوهراني متأثرا
بالتوحيدى فى هذا اللون من الترسل تأثرا مباشرا ،
وانما استدلل على ذلك من رسالة أخرى له صور فيها
مجالس الطرب والتأثر بالغناء. مقتفيا فى هذا خطى
التوحيدى . يقول الوهراني فى هذه الرسالة الثانية :
«ولا طرب فلان الفلاني لما اجتمع فى دعوة فلان ليلة
السبت العشرين من محرم هذه السنة وغنت له بالدق :

ما غير البعد ودا كنت أعرفه

ولا تبدلت بعد الذكر نسيانا

ولا ذكرت صديقا كنت آلفه

الا جعلتك فوق الكسل عنوانا

فانه لما سمع ذلك قام وقعد ، وصاح ولطم ،
وفتل شعر عنقه ، وأدار طربوشه على رأسه ، وخرق
غلالته ... وجرى الى الشمعة ليحرق لحيته لا والله ،
ولا طرب ابن ريس فلان بن فلان فى دعوة فلان ليلة
الثلاثاء العاشر من صفر ، لما غنت له فارس الشام :

أرى بيت لبنى أصبح اليوم يهجر

ومن أجل لبنى ذلك البيت يشكر

(5) المسالك : الورقة 27-28 .

(6) المصدر نفسه .

(7) هو عبد الله بن محمد بن ابي تصرون (585) كان من أفقه أهل عصره واليه المنتهى فى الفتاوى
والاحكام ، بنى له نور الدين المدارس بحلب وحمص وبعليك وبنى هو لنفسه مدرسة بحلب وأخرى
بدمشق وتولى النظر فى الاوقاف ، وفى سنة 573 ولاء صلاح الدين القضاء (انظر طبقات السبكي 4 : 237
وشذرات الذهب 4 : 283) .

(8) انظر نماذج من هذه المجالس فى كتاب : «البديع فى وصف الربيع للحميرى» تحقيق هنسرى

بيريس ، ط. الرباط 1940 .

(9) راجع الامتاع والمؤانسة 3 : 152-159 .

لقد كان فيها للامانة موضع
وللسر كتمان وللعين منظر
فان تكن الدنيا بلبني تقلبت
على فللدنيا بطون واظهر

فانه لما سمع بذلك طرب طربا عظيما ، وضرب
بعمامته وجه المغني ، وخلق ثيابه ، وبقي عريانا بالفقس ،
وأقبل يمشي على أربعة ... وهو ينيح ألوانا من النباح
ويقول : أنا كلب ابن كلب ، اصفعوني
بالنعال الخ (10)

فهذا الفصل من الرسالة كله تقليد لما جاء عند
أبي حيان في الامتاع والمؤانسة في وصف مجالس
الطرب ، اورد منه للمقارنة هذه الفقرة : «ولا طرب
ابن فهم الصوفي على غناء نهاية جارية ابن المغني اذا
اندفعت بشدوها :

استودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعاه
ودعته وبودي لو يودعني
صفو الحياة واني لا اودعه

فانه اذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الارض وتمرغ
في التراب وهاج وأزبد وتعفر شعره ، وهات من
رجالك من يضبطه ويمسكه ، ومن يجسر على الدنو
منه ، فانه بعض بناه ويخمش بظفره ويركل برجله ،
ويخرق المرقعة قطعة قطعة ، ويلطم وجهه ألف لطمه
في ساعة (11)

غير أن البرهاني حين الم بهذا الفصل أخرج فيه
الصور على طريقتيه في المجون والسخف ، ويظل هذا
الكاتب « يمسح » الصور الجادة التي جرى عليها كتاب
الانشاء ، كان يكتب الى عز الدين بن موسك كتابا على
لسان بغلته تشكو فيه حاجتها الى العلوقة ، أو يكتب
تقليدا رسميا لئن سباه « قاضي الفاستين » محاكيا صور
التقليد الجدية عند تنصيب القضاة . وهو لا يبتسى
فكاهته على التماجن وحده وانما يعتمد أحيانا المزوجة
المضحكة او التخليط في ايراد الحقائق ، فمن المزوجة
المضحكة حديثه عن بغلته مقترنة بنفسه ورسمه الفرق

بينه وبينها من الناحية العلمية ، وذلك حيث يقول :
« ومعلوم ان البهائم لا تصرف بالحلوم ولا تعيش بسماع
العلوم ، ولا تطرب الى شعر ابي تمام ، ولا تعرف
الحازن بن همام ، ولا سيما البغال التي تشتغل في
جميع الاشغال : مسكية من القصيل ، أحب اليها من
كتاب التحصيل ، وقفة من الدريس ، أشهى اليها من
فقه محمد بن ادريس ، لو أكل البغل كتاب المقامات
مات ، ولو قيل له أنت هالك ، ان لم تأكل موطأ مالك ،
ما قبل ذلك ، وكذلك الجمل ، لا يتغذى بشرح ابيات
الجمل ، وحزمة من الكلا ، أحب اليه من شعر أبي
العلاء (12) ومن التخليط في الحقائق قوله :
« ألا ترى أنه قال البارحة لجماعة من جلسائه الذين
يبيتون معه : من منكم يحفظ قول النابغة الذبياني في
سيف الدولة بن حمدان لما شتمه المعتصم بمحضر من
أبي هريرة رضي الله عنه . (13)

ولما كان التعريض في مثل موقف الوهراني ضروريا
هاما نراه لجأ الى المناطات ، وفي هذه المواضع الحلمية
وجد في رسالة الغفران والتواضع والزوابع مثلين
يحتذيهما ، فنراه في رسالة كتب بها الى مجد الدين
ابن المطلب يحاكي ابن شهيد جاعلا بطل رسالته جنيا
اسمه « ابو خطرش » ، ومن الطريف ان الوهراني رسم
« ابا خطرش » ماثلا للقاضي الفاضل في الشكل فقال :
« فلم يشعر الا والحيط الشمالي قد انشق وخرج منه
شخص عجيب الصورة ليس له رأس ولا رقبة البتة ،
وانما وجهه في صدره ولحيته في بطنه ، مثل بعض
الناس » (14) فقول « مثل بعض الناس » اشارة الى خلقة
القاضي الفاضل ، وكان قصيرا أحذب قد غاص رأسه
في جسده كأنه دون عنق . وغاية الوهراني من محاكاة
ابن شهيد هنا ان يغمز من فقيه متهم بتبديد مال
الاقساط .

وأما محاكاته لرسالة الغفران فتتجلى في المنام
الكبير الذي وصفه ابن خلكان بأنه طويل فقال : « ولولا
طوله لذكرته » . (15) وقد تنبه الصفدي الى أن الوهراني
سلك فيه مسلك أبي العلاء في الغفران ، غير انه أضاف

(10) المسالك : الورقة :

(11) أنظر الامتاع 2 : 165-182

(12) مظالم البدور للفزالي 2 : 189 والمسالك : السورقة 30

(13) المسالك ، الورقة : 34

(14) الوافي للصفدي 4 : 387

(15) ابن خلكان 4 : 19

أن يستر سخافته بتحسين الخط وتنويع الألوان التي يكتبه بها ، وملك النحاة وزين الدين بن الحكيم تورد بينهما ذكريات المهاجة في الحياة الدنيا فيحاول الاول منهما أن يكمل تلسك السيرة الاولى ، والنقيب أبو العرجة . بل ان المرء لا يتمضى يوم القيامة الا ما تعوده قبل حلولها ، فالوهراني يتمنى « رغيفا عقبيا وزبدية طباهجة وجبن سناري ونبيذا حلبونيا » والعلمي يتمنى « صابونا رقيا » وقليلًا من تراب المراغة ليفسل لحيته ويزيل منها ما علق بها من غبار لبدنه العرق .

واما المحور الثاني فهو أن كل فريق يجد الشفاعة والحماية لدى من أحبه في الدنيا - أما شفاعة النبي محمد نفسه فانها بعيدة المنال اذ يمر يوم القيامة فسي موكبه فلا يستطيع المذنبون الوصول اليه من شدة الزحام - فهذا القاضي كمال الدين بن الشهرزوري يجد الحماية لدى جبريل لانه « شيخ من شيوخ الاسلام ومن عظماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وله من اعمال البر ما يوفى عنه مظالم العباد » . وينال مذهب الدين ابن النقاش الطبيب حماية مالك خازن النار لانه كان يريه في طبه من قبض النفوس ، بينما العلمي وهو طبيب لم يستطع أن ينال هذه العناية لانه كان يباعد الموت عن المرضى ويبذل كل ما في وسعه ليكفل لهم الشفاء . وينقسم الناس يوم القيامة لدى ورود الحوض فمن كان يحب عليا ورد في رعايته وبأذنه ، ومن كان يحب يزيد والامويين لجأ اليهم ليعينوه على الورود .

وهنا نجد ان رسالة الوهراني ليست تهكما بأفراد وحسب . صحيح أنه يتناول الشهرزوري وابن العميد والمهذب بن النقاش ومجير الدين الفقيه وقسيم الاعور والنقيب ابا العباس بالغمز والتهكم اللاذع . وأكبر ضحاياه نصيبا من تهكمه هو ابن النقاش فقد سر الحجاج والشمر وعبد الرحمن بن منجم حين غفر له اذ تجدد لديهم الرجاء بالمغفرة عند ذلك . وانما تتناول رسالته ايضا الاتجاهات والمذاهب وبعض الطوائف من الناس . فهي تعرض الخصومة بين المتشيعين لعلى والمتعصبين لبنى أمية وتقيم بين الطائفتين يوم القيامة معركة صفين ، وفيها ترى الاكزاد وقد انتحلوا ولا . أمويا ونسبهم يحيون يزيد بقولهم : « السلام عليك يا امام العدل ، السلام عليك يا خليفة الله في الارض ، السلام عليك يا ابن عم رسول الله نعمنا الله بطاعتك وادخلنا في شفاعتك » . وهو يتهمهم بهؤلاء

الى ذلك قوله : « ولكنه اللف مقصدا واعذب عيارة » . (16) ويبدو أن العمري أورد في المسالك كاملا (17) . ويجيء المنام زدا على رسالة وصلت الكاتب من الشيخ الحافظ جمال الدين ، كما كانت الغفران زدا على رسالة ابن القارح . ويصف الوهراني ابتهاجه برسالة صاحبه وأنه من شدة السرور امتنع عليه النوم ، فلما نام : « رأى فيما يرى النائم كذا القيامة قد قامت والمنادي ينادى هلموا الى العرض على الله » .

ويشفق الوهراني من هول المحشر ويتمنى لو أنه بقي في الدنيا يتمتع بشئ . من لذاثها ومطاعمها ، ويرى صديقه الحافظ العلمي على بعد فيناديه وتقوم بينهما ملاحاة يتهدده فيها العلمي بالأذى ، فيذكره الوهراني بما هما فيه من ويل ، وما يبعثه فيها مرأى مالك من رعب ، ولكن العلمي يتوعدده بأن يشكوه الى القاضي كمال الدين بن الشهرزوري ، غير ان هذا القاضي كانت ضحايفه قد عرضت فوجدت لضحايفتها تحتاج لكي يفصل فيها الى يوم قيامة خاص بصاحبها دون سائر الخلق ، ويأخذه جبريل تحت حمايته فليس لاحد عليه من سبيل .

وبينما هما في جدل ومماحكة ظهر لهما مالك وقبض عليهما فأخذ العلمي يريه مناديا : يامالك (ترخييم مالك) فيغضب مالك لانه حذف في النداء ربع اسمه فيعتذر عن ذلك بأنه ما حذفه ترخيما ، وانما من شدة الهلع . ويستمتع مالك الى العلمي فيرجوه هذا بأن يطلقهما لان الوهراني منها من أهل القرآن والعلمي من أهل الحديث ، ولكن مالكا يعدد عليهما أشياء مما اقترفاه في الدنيا فيفزعان اذ يجدانه قد أحصى كل شئ . ارتكباه ، ثم يطلقهما بعد جهد .

ويدور تهكم الوهراني في رسالته على محورين أولهما ان الناس لا يتفكون يوم القيامة يزاولون ما غلب على طباعهم في الحياة الدنيا ، هو والعلمي رفيقان يحتاج أحدهما للآخر - رغم ما بينهما من خلاف - ، والمؤيد بن العميد يستعمل في الآخرة طريقته التي دأب العباس الذي كان مشغولا ببطليموس وشؤون الكواكب والنجوم لا يتفك عن « ضلالتة » يوم القيامة ، وقسيم الاعور الذي كان منافقا تارة يتحيز للعلوية وتارة للاموية ما يزال كذلك على حاله في لحظات المحشر عليها في دار الحياة فهو ما يزال يطلب بشعر سخيف « الكشرى السابوري والرمان الديقي » ولكنه يحاول

(16) الوافي 4 : 387 .

(17) المسالك ، الورقة 41-48 .

وفي مستوى الاسلوب ، فالوهراني يكاد يستعمل أسلوبا سهلا قريبا من اللغة الدارجة ففى عصره ويحشو رسالته بالبذاء المفحش بينما يعف أبو العلاء عن كل لفظ من هذا القبيل ، كما أنه لا يهتم كثيرا بالتدقيق فى الاعراب (ولهذا تركت ما جاء فى رسالته خطأ دون تصحيح) ويحشد فى رسالته كثيرا من الالفاظ التى كانت شائعة بين العامة فى عصره .

2 نماذج من الفصول التى احتوى عليها «المنام الكبير» :

1- خوف الوهراني من هول المحشر :

« فخرجت من قبرى ايمم الداعى الى أن بلغت الى أرض المحشر ، وقد أجمنى العرق ، وبلغ منى التعب والفرق ، وأنا من الخوف على شر الاحوال ، وقد أنساني جميع ما قاسيته عظيم ما أعانيه من شدة الاحوال . فقلت فسى نفسى : هذا اليوم العبوس القمطير وأنا رجل ضعيف النفس خواز الطباع ولا صبر لى على معاناة هذه الدواهى . كنت أشتى على الله الكريم فى هذه الساعة رغيفا عقيبا وزبديا طباهجة ناشفة وجبن سنارى ونعارة نبيذ حلبونى ، والحافظ العليمى ينادمنى عليها بأخبار خوارزم ، وفخر الدين بن هلال يعنى لى :

يا أهل نعمان ائى وجناتكم

تقرى الشقائق لى الى النعمان

وأبو العز بن الذعبي يعينه ويستقنى الصرف من النعارة حتى يعرق جسمى وأغيب عن الوجود فتنقضى عنى الشدائد فى غير معقول .

2 - الملاحاة بين الوهراني والحافظ العليمى

الوهراني ينادى الحافظ العليمى فيسرع هذا اليه ويبادره بلكمة ويقول : «ياعدو الله ما كفى انك تخاطبنى بنون الجمع وكاف المخاطب دون أن ذكرت اسمى بغير كنية ولا لقب ! والله لا توصلن لاذيتك بكل طريق . فقلت له : يا كافر القلبى أما ترتدع ، أما ترعوى ، أما ترى السماء تنفطر مثل فطائر المزة فى الكوانين ، أما ترى الملائكة منحدزة من السماء زرافات ووحداناً ، أما ترى الميزان يرتعد بما فيه مثل المحوم اذا أخذه النافض يوم البهران ، أما ترى الصراط يرقص بما عليه « رقص القلوص براكب مستعجل » أما ترى مالكا خازن النار وقد خرج منها محلق العينين فى يسهه اليمنى مصطيبة وفى يده اليسرى السلسلة المذكورة فى القرآن ... »

الاکراد الذين تحيز لهم القاضى الكردي عبد الملك ابن درباس حتى قال ليزيد حين أوصاه بهم : « ما أحتاج فيهم وصية ، هذا أنا قد وليت القضاء لجماعة منهم أنا أعرفهم فى بلادنا لا يعيشون الا من لصوصية البقر فى الليل وسرقة الحمين بالنهار . على أن حظه على الاكراد وقاضيم لا يجعله يغفل المتقدمين فيهم مثل أسد الدين شيركوه ونجم الدين وصلاح الدين فالاولان منهم ينانان التشريف يوم القيامة ويلبسان خلعتين : خلعة الحج وخلعة الجهاد وهما يوصلان صلاح الدين الى النبى فيمسح على رأسه ويدعو له بالنصر والتأييد ويوصيه بالضعفاء والمنظومين . ولا ينسى الوهراني حال الصوفية فى عصره فيحرمهم من شفاعة النبى لانهم قوم غلب عليهم العجز والكسل وهربوا من الكد ولا عمل لهم الا الاكل والنوم ولا نفع فيهم للمسلمين فهم «مثل شجر الخروع فى البستان يشربون الماء ويضيقون المكان» . ولا يتوزع الوهراني عن أن ينال - فى منامه - من الذين يسمون انفسهم الاشراف - بمحضر على بن أبى طالب الذى اليه ينتسبون - فيذكر منهم ناسا لا يتمالك الحسين حين يسمع أسماءهم من الغيظ ويقول : « اليوم يشمت بنا بنو أمية » .

فليست رسالة الوهراني ، تصورا للنعيم او العذاب وما جر ذلك «فى الغفران» الى أمور فى اللغة ، وانما هى تصوير لبعض الناس والطوائف فى ساعات قبل ورود الحوض ، واكثر الشخصيات التى تتناولها من معاصرى الوهراني - وهذا من أقل الجوانب ظهورا فى رسالة الغفران ، ولا يحضر فيها على ومعاوية والحسين ويزيد الا لاستكمال الصورة المتصلة بالخلاف بين التشيعة والمروانية فى عصر الوهراني نفسه . ويتنبه فيها الوهراني الى أمور لم تكن لتعلق بذهن أبى العلاء مثل : هل يستطيع الدائن أن يسترد نقوده من المدين يوم القيامة ، وانما يورد الوهراني هذه المشكلة ليعمن فى التهكم بآبن النقاش فقد كان مدينا للوهراني بعشرة دنانير فلما اراد اقتضاءها من حسناته ارتفع الضحك من كل جانب ذلك أن ابن النقاش لم تكن لديه حسنات ، فلا يرى الوهراني سبيلا الى التقاضى الا بأن يحط من ذنوب نفسه على ذنوب ابن النقاش مقدارا يساوى عشرة دنانير . ولكن الوهراني يلتقى بأبى العلاء فى أمور كشميات الآدميين تحقيق ما الفوه فى الدنيا اذا هم بعثوا ، وتناول فكرة الشفاعة ، ونيل بعضهم المغفرة ، دون ان تكون الحسنات راجحة ، ثم يختلفان بعد فى الغايات ونوع السخرية وفى القدرة التخيلية

3 - كمال الدين بن الشهرزوري

العليمي يهدد الوهراني بأن يرفع أمره الى كمال الدين بن الشهرزوري لينكل به جزاء على استخفافه بالعليمي ، وذلك ان العليمي كان قد سافر مع الشهرزوري الى العراق وحدته حديث خوارزم واتسده طرفا من شعر ابن بابك فتأكدت بينهما المودة ، فيسأله الوهراني : «واى شىء لكمال الدين فى هذا الامر ؟ أتبعنا أحكامه الى هذا المكان ؟ فيقول : نعم عرضوا اليوم صحائف اعماله بين يدى الحق سبحانه وتعالى وهى شىء عظيم مثل جبل ثبير ولبنان ، فقالت الملائكة : اى رب ، اشغالنا فى هذا اليوم كثيرة وجاء هذا الرجل بأمر عظيم ، وقد سبقه أمم من الناس ، وهو يريد يوم قيامة وحده لا يحاسب فيه سواه وموازين لا يشركه فيه غيره . فقال البازى - عز وجل - ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ، سلموه الى الروح الامين . فيقول جبريل عليه السلام : هذا شيخ من شيوخ الاسلام ومن عظماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وله من اعمال البر ما يروى مظالم العباد ، اوقفوا أمره واحيلوه على بالمطالبات . فدخل فى زمرة الروح الامين فما لاحد عليه من سبيل .

4 - ظهور مالك خازن النار :

« وبينما نحن فى المحاورة واذا نحن بمالك خازن النار وقد هجم علينا وقبض على وسحبنا خلفه فارتعنا لذلك ارتياحا عظيما فقلت له : هذا الذى كنت أخوفك منه وقد وقعنا فيه فقلت انت ياسيدى يا مال ، اسمع منى كلمتين لوجه الله تعالى ، فقال : كيف اسمع منك وقد حذف ربح اسمى فى النداء ؟ فقلت : والله ما حذفته للترخيم الجائز عند النجاة ، وانى لفى شغل عن ذلك ، ما حذفته الا لشدة الهلع وانقطاع مادة الكلام فيقول لك : هات كلمتك ، فيقول : يا سيدى هذا رجل مغربى من أهل القرآن وانا رجل محدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأى جرم تأخذنا - هنا يعدد مالك عليهما موبقات ارتكباها فيوقنان ان كل شىء قد أحصى ، ولكن مالكا يتركهما بعد جهد فيدخلان فى غمار الناس : ويقترح الوهراني ان يصعد الى جبل الاعراف لينظروا الى الجنة ، ولكن العليمي يعارضه فى ذلك لان رؤيته النعيم تضاعف عليهما الحسرات .

5 - ابو المجد بن عبد الحكم يعجل رقعة كتبها

المؤيد بن العميد

وتحين منى التفاتة فآرى ابا المجد بن عبد الحكم

عابرا وفى يده رقعة حمراء مذعبة وهو رائج بها يهرول ، فسلمنا عليه وسألناه عن حاله فقال : لولا مسلازمة الصلاة كنت من الهالكين ، فقال : أين تريد ؟ فقال : ارد هذه الرقعة على صاحبها . فقلنا له : واى شىء فى الرقعة ومن صاحبها ؟ فقال : هذه الرقعة للمؤيد بن العميد بعثها معى الى رضوان يطلب منه كشرى سابورى ورماني ديبقى لا يوجد الا فى الجنة ، ولقد لقينى أبو الحسن بن منير فخطف الرقعة من يدي وقرأها وقال : هذه رقعة رجل دهان عارف بالاصباغ وانزال الذهب لكنه جاهل بصناعة الكتابة ظاهر التكلف فيها ، يريد ان يتم نقص الصناعة ويستتر عوارها بالاكوان المشرقة والاوراق المصبغة والتذهيب الرائع ... فكن عاقلا ورددنا على صاحبها قبل ان تلطم على باب الجنة عشرة آلاف زربول ، مثل هذا الملك الكريم على الله يخاطب فى مثل هذه الرقاع ! هذا طلائع بن رزيك مع سخافة عقله وسكره من خمز الولاة قال يوما فى مجلسه لما عرض عليه الشيزرى قصائد الشعراء المكدين من أهل الشام وفى جملتها رقعة ابسن العميد فيها سطر مكتوب بالاخضر اليبان وسطر بالاصفر الفاقع وسطر بالابيض الناصع فى الورق الاحمر القانى ، مطرز الجوانب بالذهب الابريز : من صاحب هذه الرقعة يا زكى ؟ فقال : رجل من رؤسا دمشق ومقدمها أحدق الناس بالتزويق فى الاوراق والتصحيح للالفاظ ومعرفة أصناف الفواكه والثمار . فقال له ابن رزيك : ما ادرى ما تقول غير أنك سلبتبه فضل الفضلاء ونسبته الى الفلاحة والرعونة والجنون ، ومع هذا فهى تدل على جهل قائلها ومهانتة ، الا ترى الناس يتوصلون الى برنا بالفضل والبراعة ، وتوصل هذا الرجل بلعب البنات وزخارف الصبيان ! لو كتب هذا الذى فى رقعته على فخذ خروف سمين وألقى فى الطريق لانفت الكلاب من أكله ، ثم ناولها لبعض الفراشين وقال : ادفعها لجارك الفقاعن يلصقها على عتبة دكانه يستجلب بها الزبون ، ثم التفت الى الناس وقال : هؤلاء أهل الشام ورؤسا المدمشيقين ، قال ابو المجد : انسا والله ما استجرى اوصلها الى رضوان بعد ان سمعت هذا الكلام وانا رائج اردها عليه .

6 - المفقرة تشمل الفقيه المجير والمهذب بن النقاش :

« وبينما نحن فى المحادثة عليها واذا بضجة كبيرة من جنبى المحشر والناس يهرعون نحوها مستبشرين . فملنا جميعا اليها واذا بحلقة بعيدة الاقطار فيها من الامم ما لا يحصى ، كلهم يصفقون ويلعبون ، وثلاثة

في وسطهم يرقصون ، الى أن سمعوا ووقعوا الى الارض .
فسألنا بعض اولئك الحاضرين عن الفرح وعن الثلاثة
الذين يرقصون ، فقال : أما الثلاثة فعبد الرحمن بن
منجم المرادي والشمر بن ذي الجوشن والحجاج بن
يوسف الثقفي مجرمو هذه الامة ، واما الفرح السدي
ألهاهم عن توقع العذاب حتى رقصهم الطرب مع ما كانوا
عليه من رجاحة العقل ونزاهة النفس فهو الطمع في
رحمة الله بعد اليأس منها ، والسبب في ذلك كون
الباري - عز وجل - غفر للفقير والمهذب بسبب
التقاش ، فخذوا رحمكم الله بحظكم من الفرح والسرور ،
فقلت له : وای شي ، يتألنا نحن من نجاة هذين الرجلين
ومن فوزهما بالرضوان ، ونحن الى الحزن أقرب منا
للسرور ، فقال : قد أجمع الناس انه لسم يولد في
الاسلام مولود قط أرق ديناً من هذين الرجلين ولا أقل
خيراً منهما ، فاذا غفر لهما فما ذا عسى ان تكون ذنوب
الحجاج وأصحابه في ذنوب هؤلاء ، ان يكن ذلك الا
كالشعرة البيضاء في الثور الاسود .

8 - كيف نال ابن النقاش المغفرة :

« هذا عزرائيل ملك الموت وهو يعنى بالمهذب
عناية عظيمة ، وهو الذي شفع فيه وخلصه من العذاب
الاليم ، فقلت لكم : ومن أين هذه المعرفة بين المهذب
وبين عزرائيل ، فقال لي أبو المجد بن الحكم : من جهة
الطرب ، أما علمت ان المهذب كان من أعوان ملك الموت
في دار الدنيا ، ما دخل قط على عليل الا وأنجزه في
الحال وأراح ملك الموت من التردد اليه وشم الروائح
الكريهة والنظر الى شخصه المزعج وخلصه من الانتظار
الطويل ، فهو يرعاه لاجل ذلك ، ويحبه من ذلك
الزمان . وعندئذ يشير على الوهرائج أصحابه بأن
يذهب مرة أخرى الى عزرائيل ويسامح ابن النقاش
بالدنانير ، فيفعل ، فيبشره عزرائيل بأنه يعيش بعد
المهذب عشر سنين ، لكل دينار سنة .

9 - التوجه نحو الحوض :

« فقلت لي انت بعد انفصالنا عنه : قد تعبنا يافلان
من المحاورة والوقوف واشتد بنا العطش وأنظماً ، هل
لك في الحوض نبت عنده بالعلم والقرآن لعلمهم يسقونا
منه شربة لا نظماً بعدها أبداً ، فقلت لك : سر بنا ،
فتوجهنا نحوه ، وابن بدر معنا ، حتى اذا قربنا منه
رأينا أبا القاسم الاعور وحوله جماعة من الاشراف
يندسون شعر رأسه بالدلاء والتواسيم ويقولون :
يا خنزير : رح الى يزيد بن معاوية يسقيك الماء . فوقفنا
ساعة وأحجمنا عن الاقدام خوفاً من سوء الادب ، فرآنا
تاج الدين الكندي فجاء الينا وسلم علينا فسألناه عن
حاله فقال : لو اتبعت مذهب أئمة الحنابلة في التشبيه
هلكت معهم ، ولكني كنت أسر الاشعرية واضمر
المنبرية ، وقد وعدني الامام الشهيد سيبيويه بأن
ينفني اذا رأني عند الميزان ، وانتم ما لكم ما تتقدموا
تسلموا على أمير المؤمنين وتاخنوا اذنه في الورد ،
قد أذن اليوم لجماعة من الادباء انحس منكم بكثير ،
ولعلمكم خفتم مما وقع فيه قسيم الاعور من اللطام ،
فقلنا له : نعم ، فقال : حاشاكم انتم من هذا ، كان
قسيم رجلاً فضولياً يكاشف الاشراف ويؤذيهم في كل
مكان .

10 - الامام علي على الحوض :

« فتقدمنا الى امير المؤمنين فوجدناه على شفير

7 - للوهرائج عشرة دنانير في ذمة ابن النقاش

يريد ان يتقاضاها من حسناته :

« وأقوم وأعدوا ملء فروجي ... الى أن انتهيت الى
جماعة كبيرة من الملائكة والناس وهم ينظرون الى
ويقولون : هذا هو قد جاء ، وأخالط ذلك الجمع
وأتخللهم الى صدر ذلك الملا ، واذا بملك عظيم تقشعر
من نظره الجلود وتشمئز من طلعه النفوس ، والمهذب
ابن النقاش قائم بين يديه يكلمه بالمعجبية ، وهو مقبل
عليه بجملته ، فلما أحس بن الملك قال : أذكر سعيداً
تره ، والتفت ابن النقاش وقال : اذكر الكلب واستعد
له بفهر ، ايش تعمل معي في ايشم ؟ الذهب الذي لك
في ذمتي ، قد عوقوني عن دخول الجنة لاجله ، فقلت
له : طيب والله طيب ، ويبدو لهم ان شاء الله فيك
ويردوك الى الجحيم ، أريد الساعة أخذ من حسناتك
بعشرة دنانير ما يساوي خمسة عشر ديناراً .

يسخر منه من حوله لحسن ظنه ، ذلك أن ابن النقاش
ليست لديه حسنات بهذه القيمة ، فلم يكن صاحب
ورد ، ولا كان يصوم الاثنين او الخميس ، ولا هو حج ،
واما غزوه مع نور الدين فلم يكن بنية الجهاد ، وأما
صلاته فقد وجدوا له ثمانين صلاة في ستين سنة فيها
28 صلاة بغير وضوء ، وكل صلاة من الـ 52 الباقية
تساوي 6 فلسوس ، فيقترح الوهرائج أن يخضم من
سيئات نفسه بما قيمته عشرة دنانير ويضيفها الى

هؤلاء لا شمرك الركيك ولا رسائلك البارزة ولا يد لك من الاجتماع بأبيك الرابض في أمك الهاوية وهو يقول لك : خرب بيتك ، اى شيء بينى وبينك ، هجوتك وهجوتنى وشتمتك وشتمتنى ، وقد راح هذا بهذا ، ونحن من أهل العلم ولا يليق بنا الا المحاللة والاستغفار لانك فى موقف صعب ، وأنا راثع الى رب كريم رجائى به حسن وطنى به جميل ، فانكسر أبو نزار ورجع عنه خجلان .

12 - مرور موكب النبي صلى الله عليه وسلم

« ثم ترتفع الضوضاء. وإذا بموكب عظيم مقبل من المقام المحمود كأنهم الشموس والاقمار ركبان على نجائب من نور يؤمون ائشريعة العظمى من الحوض ، فسأنا عنهم فقيل هذا سيد البشر صلى الله عليه وسلم فى أصحابه وأهل بيته ، فنجرى خلفه ونجهد أنفسنا فى طلبه فلم نصل اليه من شدة الزحام ، فصعدنا على تل مشرف من جبل الاعراف حتى عبر علينا وعن يمينه ويساره أبو بكر وعمر وبين يديه أولاده الصغار مع الحسن والحسين ومن ورائه حمزة والعباس وجعفر وعقيل وبقية أصحابه بمشرف مع المهاجرين والانصار ، وهو يصفق تارة الى حديث على وتارة الى حديث عثمان وهما فيما بين أولاده الصغار وبينه والناس يضجون بالبكاء ويشيرون اليه بالايدي ويستغيثون عليه من كل مكان . »

13 - الصوفية يطلبون شفاعته :

« فلما انتهى الى شاطئ المشرعة وقف عندها ، فانجاب اليه الصوفية من جميع الاقطار يقدمون اليه أخلة الاسنان والشيشات ، فسأل عنهم ، فقيل له هؤلاء قوم غلب عليهم العجز والكسل على طبايعهم فى الدنيا فهربوا من كسد الصنائع والاعمال الى زوايا المساجد والمشاهد بحجة العبادة والانقطاع ، فلا يزال أحدهم يأكل وينام الى أن يموت . قال : فبأى شيء كانوا ينفعون الناس ويعينون بنى آدم ، فقيل : وائله ولا شيء البتة ، ولا كانوا الا مثل شجر الخروج فى البستان يشربون الماء ويضيئون المكان وليس لهم ثمرة ، فيكاسر عنهم فيأخذون حشيشاتهم وينصرفون . »

14 - قدوم أسد الدين ونجم الدين

ثم صلاح الدين :

« ثم يأتى أسد الدين ونجم الدين راكبين على فرسين كالعروسين وعلى كل واحد منهما خلعتان :

الحوض وحوله جماعة من الهاشميين كأن الشمس تطلع من وجوههم ، والمقداد بن الاسود انكسدى قائم على رأسه ، ففى يده لواء أخضر من سندس الجنة منشور ، ومشير الدولة يخاطبه فى بنى سرايا ، ويقول : يا أمير المؤمنين ، ما كان ظننا به هذا ، فقال : ما أوبقكم وأوبق أمركم الا معز بن حسن بكثرة ما رفع عليكم من العظائم والا كنت قد خلصتكم من أول النهار والتفت اليها وقال : انتم ما تريدون ؟ فقلت أنا : يا أمير المؤمنين ، نحن قوم من أهل العلم والقرآن وقد بنغ بنا الجهد من شدة العطش ، ونسألك ان تنعم علينا وتطلق لنا الورود . فقال لى - صلوات عليه - مسترسلا الى يهزأ بنى ويمجن معى : أى آية فى كتاب الله بها مائة واربعون عيناً ؟ فقلت : أعرفها والله يا أمير المؤمنين ، فقال : صدقت ، فقيل : يا أمير المؤمنين من أين عرفت صدقه ولم تسأله ؟ فقال : بشاشة المعرفة بها ظهرت فى عيني . ثم قال صلوات الله عليه : هذا الحوض بين ايديكم ، ردوا كيف شئتم ، فصاح قسيم الاعور من بعيد : الله الله يا أمير المؤمنين ، لا يتم على أمير المؤمنين محالهم ، هؤلاء والله أشد الناس كفرا ونفاقا وأشدهم نصبا وانحرافا وهم عبيد يزيد ، فقلنا له : يكذب والله يا أمير المؤمنين وقد رمانا بالافك والبهتان ، فقال : هل لكم من يعرفكم بغير الذى يقول ؟ قلنا : نعم يا أمير المؤمنين ، الشريف الدويبة الرواس والشريف العصيدة رسول القاضى والشريف زقازق الذى يبيع اللحم فى القبة والشريف نفيقمان الذى كان ضامن الخمر والقيان فى دمشق ، هؤلاء أولادك وذريتك - صلوات الله عليك - يشهدوا ببراءتنا من هذا الملعون ، واغتاط الحسين - صلوات الله عليه - من ذكر هؤلاء وصفق بيديه وقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، اليوم يشمت بنا بنو أمية ، فالتفت أمير المؤمنين اليها وقال : لا شك أنكم من عبيد يزيد ، قد شرعتم تسبونا بطريق لطيف ، هؤلاء الذين ذكرتهم من ذرية ابليس اللعين ومن أولاد الشيطان الرجيم ، ان كان لكم ثقة يشهد لكم ببراءتكم والا فلا تقربوا هذا المكان ، فيغادرون المكان بحثا عن الشريف أبى العباس النقيب ليشهد لهم .

11 - بين زيد الدين بن الحكيم وملك النحاة :

« فلقينا زين الدين بن الحكيم ومعه امع من النساء لا يحصيهم الا الله تعالى وهم يسحبونه الى عروسة القيامة والقصاص ، وملك النحاة راثع خلفهم يحرضهم عليه ويغريهم به ويقول له : ما يخلصك اليوم من

فبعث معه رجلا شاميا ، فتخلل الناس ونسأدى بأعلى صوته : يا عبد الملك بن درباس قاضي قضاة مصر في أيام الناصر صلاح الدين ، فلم يجبه أحد .

فوقع ابن بدر الى الارض مغشيا عليه من شدة الايام فقعنا عند رأسه وسألنا : هل عندكم من قطرة ماء نبل بها حلقة ؟ فقال : لا والله ، لو تقدمتم قليلا لما احتجتم الى هذا كله ، فقلنا له : وكيف ذلك ؟ قال : لان أم حبيبة ، زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تبعث الى أخيها معاوية كل يوم خمس تلجيات زملا ، كل تلجية مثل جبل الثلج عشرين كرة ، فيها الماء الخاص من عين التسنيم ، تدفع واحدة منها الى عمرو بن العاص والآخرى الى زياد بن ابي سفيان وذويهم والآخرى الى سعيد بن العاص وذويه وتقسم الواحدة في آل سفيان .
« وما كان بأسرع من أن حضر القاضي في جماعة من الاكراد فتقدموا الى معاوية فسلموا عليه ، ثم التفتوا الى ابنه يزيد فقالوا : السلام عليك يا امام العدل ، السلام عليك يا خليفة الله في الارض ، السلام عليك يا ابن عم رسول الله ، السلام عليك يا امير المؤمنين وزحمة الله وبركاته ، نفعنا الله بطاعتك ، وادخلنا في شفاعتك ، ورفع درجاتك في الجنة كما رفعها في الدنيا ، فرد عليهم ردا حسنا ، وقال القاضي صدر الدين : الحمد لله الذي جعل في شيعتي واصحابي من يصلح أن يكون قاضي قضاة المسلمين ، فقال له القاضي : كل ذلك ببركة الفقيه عيسى ضياء الدين ، فقال له : اوصيك باصحابك الاكراد خيرا فانهم اولى بحسن تدبيرك من سائر الناس ، فقال : نعم يا امير المؤمنين ، ما احتاج فيهم وصية ، هذا انا قد وليت القضاء لجماعة منهم انا اعرفهم في بلادنا لا يعيشون الا من لصوصية البقر في الليل وسرقة الحنجر بالنيهار ، ولم افعل ذلك الا لاني الزمت باستقضاء قوم انحس منهم بكثير . »

17 - الورود على الحوض في حماية جيش من اليمانية :

يزيد يسأل قاضي الاكراد عن الوهراني واصحابه ، فيذم ابا انقاسم الاعور ، ويرى في موالاته للامويين تكسبا ، ويمدح العليمي ، ويقول في الوهراني : واما هذا فهو مغربي ، حضرت معه دعوة فيها جماعة من الاعيان ، وجرى حديثك ، فترضى عنك ، وسال الله أن يحشره معك . فيأمر يزيد عبيد الله بن زياد بأن يأخذ معه الف رجل من السكاسك والسكون ، ويقصد المشرعة التي عليها سهل بن حنيف ويأمره أن يزيلهم عنها بالقوة ويكفل الورود للجماعة ، فاذا جاء الاشر

خلعة الحج وخلعة الجهاد ، كل خلعة تساوي ملك الارض سبعين مرة ، وأسد الدين رائج يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم خلعة فتوح مصر ، ونجم الدين يقول له : لا تذكره بمصر فهو موغر الصدر لاجلها ، فيقول له أسد الدين : قد ذكر العلماء بالانساب ما بين ملوكها وبينه قرابة وكتبوا بذلك خطوطهم في المشارع ، وبعد هذا فما أذكرها له . وانتهى اليهما صلاح الدين فأخذه وواصله الى النبي صلى الله عليه وسلم وامراه بتقبيل يديه ورجليه ففعل ذلك ومسح على رأسه ودعا له بالنصر والتأييد وأوصاه بالضعفاء والمظلومين .

15 - العثور على الشريف النقيب أبي العباس :

« وأقبلنا نحن نطلب الشريف النقيب الى أن وجدناه واقفا مع جماعة من البوابين يسألهم عن بطليموس الحكيم هل نصيح الكواكب السبعة طائش أم لا ، وهل قام الدليل والبرهان على أن للكواكب أطوالا وعروضا أم لا ، فلما رأنا قطع الكلام والتفت اليها فسلمنا عليه وقلنا له : نظام الدين عسى تفضل علينا وتمشي مناسعة تشهد لنا عند اميرالمؤمنين بالبراهة مما قذفنا به من النصب والانحراف عن اولاد فاطمة عليها السلام ، فقال لنا : والله اني في هذا الوقت مشغول بنفسي ، وعلى أن شهادتي ما تنفعكم لاني زميت في مجلسه بالفلسفة والعمل باحكام النجوم ، وقد أضررت ذلك عنده وزوى وجهه عني ، وانا من ذلك في خطر كبير . »

16 - الاستشفاع لاجل الورود بالسادة

من بنى عبد شمس :

ياتي قسيم الاعور المنحوس فيشير عليهم بأن يتبعوه ليدلهم على من يستقيهم الماء من الحوض .

« ومشيئا معه مقدار اربع فراسخ واذا بجمع عظيم يحتوي على شيوخ وشباب وكهول قد حف مجلسهم بالسكينة والوقار وجلالة الملك ، والرياسة تلوح على وجوههم ، فسألنا عنهم فقيل لنا : هؤلاء السادة والقادة من بنى عبد شمس ، فدخل قسيم الاعور حتى دخل بين يدي عظيمهم فقال له : يا خال المؤمنين ، ياكاتب وحن رب العالمين ، نحن قوم من محبيكم ، قد طردنا عن الحوض لاجلكم ، ونحن هالكون لشدة العطش بسبيكم . فقال : لك بينة تشهد بما تقول ؟ فقال : نعم جماعة من شيعتكم ومحبيكم الاكراد . فقال : احضروهم . فقال : ابعث معي رجلا من اجلاء وزرائك يساعدني عليهم ،

من سرير النوم ، فانتبهت خائفا مذعورا ، ولذة ذلك الماء في فمى ، وطنين الضجة في أذنى ، ورعب الوقعة فتح قلبى الى يوم ينفخ فى الصور ولى حينئذ عذاب شديد وأصلى سعيرا وأدعو نبورا ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

3 - رسالة السائل والمجيب :

هذا هو الاثر النثرى الثانى الذى حاكى فيه مؤلفه رسالة التوابع والزواج لابن شهيد ، محاكاة شكلية ، وصرف القول الى غايات مختلفة . ولسنا نعرف اسم المؤلف على وجه التحقيق ، ولكننا نعلم انه اندلسى المنبت ، وانه هاجر من بلده : «وقد انشبت الفتنة اظفارها واوقدت بالجزيرة نارها» ، وهو يتحدث عن سفينة حملته الى بلاد الروم ، وعندما سئل عن اسمه هناك قال انه «محمد» ، وانه سليل عسرب ينتمى الى الانصار ، وانه خدم بهذه الرسالة ابا زكريا يحيى بن زيان . وقد جاء فى فهرست المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح (I8) انه كتبها لابي زكريا يحيى بن زيان بن يفراسن بن زيان ، أحد ملوك بنى عبد الواد بتلمسان . وأنا أستبعد ذلك لامرين : أولهما ، ان ليس فى ملوك بنى عبد الواد من اسم اسمه يحيى بن زيان وكنيته أبو زكريا ، وثانيهما : انه قد صرح فى رسالته انه قد كتبها : «للحاجب الامضى» ، الوزير الارضى ، حامى ذمار الدين ، وقامع طغاة المفسدين ، محيى شرف بيته الغاير ، ورافع ذكر سلفه فى صدور المحارب ، وظهور المناير ، ابي زكريا يحيى ابن زيان ، ، فقد وصفه هنا بانه حاجب ووزير لا ملك ، وهذه الصفة تنطبق على احد اثنين :

(I) ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسى ، السذى كان وزيرا وحاجبا للسلطان عبد الحق بن ابي سعيد المرينى ، وقد توفى هذا الوزير سنة 852 .

(2) ابي زكريا يحيى بن يحيى بن زيان - ولد المتقدم - الذى كان حاجبا ووزيرا أيضا فى الفترة نفسها بعد ابيه .

وعلى هذا يكون الاديب صاحب الرسالة التى هى موضع بحثنا من ادباء القرن التاسع الهجرى .

أما رسالته فقد سماها : «رسالة السائل والمجيب» ، وروضة نزهة الاديب» (I9) - وقد جعلها فى حصة وثلاثين

ثبت له حتى يلحق به المدد ، فينصحه معاوية بارسال ذى الكلاع الحميرى بدلا من عبيد الله بن زياد .

« فما استتم القول حتى استألم القوم وتقدموا بين أيدينا يرفلون فى الحديد لا يلون على شىء فقلت لك : كآنت وقعة صفين فى الدنيا على دم عثمان ، ووقعة صفين فى الآخرة حتى نشرب نحن سم الموت ويسمع النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم فيخرجنا من الشفاعة ؟! فتقول : النبي صلى الله عليه وسلم أجل من هذا . »

ويلحق بهم أبو القاسم الاعور طالبا ان يأخذه معهم ، فلا يجيبون ، فيصيح مستنفرا قبائل العراق ضدهم وهو يقول : «الى أين يا بقر الشام ، يا شيعة الباطوت ، يا عبيد الطلقاء . »

18 - الورد وتمنيات العليمي :

« وأقبلنا نحن نشرب ونستريح وتقول لى : أين أنت من عين ماء الديباج ، كنت أشتى الساعة قطعة صابون رقى وقليل تراب مراعى أغسل بها لحيتى فانها قد اتسخت من الفبار والعرق . وقلت لى : ما نحتاج الى شىء من هذا ، الساعة نستريح منها ، فقلت لى : وكيف ذلك ؟ فقلت لك : لا شك ان كنت من أهل السعادة ، فما يدخل الجنة الا اجرد أمرد ، وان كنت من أهل النار فالزبانية يعملون منها الفتائل توقد ليلة الميلاد فتيلة على باب جهنم . »

19 - على وشيعته ياخذون الطرقات على الشاميين :

« فبينما نحن فى أطيب عيش واهناه ، واذا بصيحة عظيمة قد اقبلت واصحابنا يتطايرون لا يلوى أحد على أحد ، فطارت عقولنا وبقينا حائرين لا ندرى الى أين نروح ، وقلنا : يا قوم ، ما هذا ؟ فقالوا : هذا على عليه السلام قد أخذ الطرقات على الشاميين وجاءتنا سرعان الخيل فيها محمد بن الحنفية يزأر فى أوائلها مثل الاسد الهصور . »

20 - محمد بن الحنفية يسدد الريح

نحو الوهرانى ليطغنه :

« فلما انتهى الينا ، صاح بنا صيحة عظيمة هائلة وصم الى بالسنان ليطغنى ، فوثب بين يديه ، فوقعت

(18) الجزء 2 : 58

(19) الورقة 2 من مخطوطة الرباط .

الاصغاء والاقبال ، وان ترنم أنسى المثالث والمثاني
وان داعب اوقفك على قصور الحسن بن هاني . فاذا
أردنا الدقة قلنا انه يجمع بين الادب والعلم ، وانه بذلك
يرمز للكاتب نفسه .

ويظل الشبه بين الرسالتين قريبا في الفصول
الاربعة الاولى ، ففيها يعرض الكاتب - كما فعل ابن
شهيد من قبله - نماذج من شعره ونثره ، أما الشعر
فينسبه مباشرة الى نفسه ، وهو شعر محكم جزل اذا
قسناه بالعصر الذي عاش فيه الشاعر ، وأما النثر
فينسبه الى الجن ، وهو يورده حيناً على شكل حكم
قصيرة مثل : لكل امرئ شغل في بدنه لو عقل -
ليس العالم الذي يعلم الخير والشر ولكنه من يعلم
خير الشرين - من تكلف امرأ بغير علم أعياه الطب -
الناس تحت يدك ما رجوك - رب حسب آفته ألقه ،
وكثير من هذه الحكم محور عن بعض أقوال سائرة ،
وحيثما يكون نثره خطبة أو عظة ، وهو ايضا منسوب
الى الجن ويشغل البابين : الثالث والرابع ، وبهذا
ينتهي القسم الاول من الرسالة ، وبعد ذلك يتوجه
الكاتب وصاحبه الجنى الى العلماء ، وتكون الفصول
الباقية من الرسالة في شؤون من العلم ، وهي تتناول
أخبار الحكماء والفصحاء والبلغاء والفرق بين الفصاحة
والبلاغة ، وفصولاً عن الفكاهة والأمثال وغرائب الحيوان ،
وشيثاً من علم أصول الدين ، والادلة على وجود الله
والحديث عن حشر الاجساد ، وحقيقة أصول الفقه وعلم
المنطق والنحو وغير ذلك . أما الفصول التي ضاعت
من الرسالة فهي :

الباب السابع والعشرون : في وجوب الزكاة .
الباب الثامن والعشرون : في شروط وجوب الصيام
الباب التاسع والعشرون : في الاطعمة
الباب الموفى ثلاثين : في اقامة الحدود
الباب الحادي والثلاثون : في الطيب
الباب الثاني والثلاثون : في وصية الحكيم وفصول
من الحكم .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر شيء من سر
السلطين

وكل هذا يشير الى سعة المجال الذي حاول
المؤلف أن يستوفي الحديث عنه في رسالته ، حتى كأنه
أراد أن يجعل منها موجزا لجميع ما توفرت لديه من
المعارف ، دون مراعاة لى تسلسل في الترتيب والتصنيف
ويمهد الكاتب للانتقال الى منازل العلماء بقوله

بابا ، ولكنها ناقصة أيضا من آخرها اذ لم يرد منها الا
26 بابا وآخر هذه الابواب غير كامل ايضا والباقي منها يقع
في 44 ورقة ، مسطرتها 17 ومقياسها 105 x 225 وقد كتبها
بخط مغربي جميل ، وفي أوراقها اضطراب ونقص
وفهرست هذه الرسالة يوضح طبيعتها ، ولكنني لست
أعدد جميع الابواب فيها بل اكتفى باول عشرة منها :

الباب الاول : في الآداب

الباب الثاني : في ذكر مؤمنى الجن وشيء من
حكمهم

الباب الثالث : في الخطابة

الباب الرابع : في مجلس الواعظ

الباب الخامس : في مستغرب الحكايات

الباب السادس : في أول من توج من الملوك

الباب السابع : في لحة من غرائب الاخبار وشيء
من الامداح

الباب الثامن : في الهجاء

الباب التاسع : في أسخياء الملوك وأجواد الاسلام

الباب العاشر : في أخبار الحكماء

وتلتقى هذه الرسالة مع رسالة التواضع والزواضع في
طبيعة المقدمة التي جعلها الكاتب الباب الاول ، فقد جاء
فيها : « كنت لما بقل العذار ، وتعين الاعذار ، أهيم
بالاسفار ، على حالة الاثراء والاصفار ، خالعا في حبها
الرسن ، وهاجرا من أجلها الوسن ، أهيم بها هيام
الحرباء بالشمس ، واحن اليها حين الجسم للنفس
الخ » ويستخدم فيها الكاتب شخصية من الجن يسميه :
« بشير بن النعمان » ولكنه يختلف عن زهير بن نمير
جنى التواضع والزواضع في سعة احاطته ، فليس هو
ملهما للكاتب ، وانما هو عالم واسع الاطلاع قد ضرب
في كل علم بسهم ذلك ان الكاتب حين سأل « فهل
تعاطيت من العلوم سلسلا وشربت باكرا بها زلالا » ؟
أجابته بقوله : « انا مزن ودقها ، وشمس أفقها ، وانا
في ايضاح معمياتها ، واستخراج مخبئاتها ، عين النادرة ،
ونقطة الدائرة ، لا أترك الحقائق الى نقل الرقائق » .
وكل من هذين الجنين انما يمثل طبيعة صاحبه الانسى ،
واذا كان الثاني منهما عالما فذلك يوضع اي وجهة
تتخذها رسالة « السائل والمجيب » . اذ يقول الكاتب
في تصوير صاحبه « فرأيت رجلا قد جمع رقة اليمين
الى طرف الحجاز ، وعرف طرفي الحقيقة والمجاز ، ونظر في
علم أقليدس ونفطويه ، وأنسى الخليل وسيبويه ،
لا يوازيه الجاحظ في بيانه ، ولا سحبان وائل في زمانه ،
ان تكلم أسمع السحر الحلال ، وان استمع أراك حكم

وتبتعد عنها في قلة الاحتفال برسم الجو الطيبي أثنا.
تنقل الكاتب في ديار الجن .

وقد شاع في الرسالة جو اندلسي قد نتخذه
دليلا مؤيدا لما قدرته من نسبتته الى الاندلس ، فهو
يروي عن الفقيه المحدث أبي مروان السلاحي صاحب
الاحكام بفرناطة حكاية عن أحد مؤمني الجن . وذكر ان
بعض الشعراء مر بقصور الامويين بقرطبة وقد غير
البيلى رسمها ومحت أيدي الخطوب وسمها فأنشد :

قلت يوما لدار قوم تفانوا
أين سكانك الكرام علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا

ثم ساروا وليت أعرف أيننا
وأورد حكاية أخرى مشابهة في تغير قرطبة
ومعالمها (20) . ولما تحدث عن كرم الملوك وسخائهم
قال : «كل ملوك بني أمية قد اتصفوا بالكرم ، وفوقهم
هشام بن عبد الرحمن» وقص حكاية صاعد وكيف
أهدى المنصور بن أبي عامر بقرطبة ابلا في عنقه جبل
وسماه غرسية فكان فألا حسنا لان غرسية بن شائجة
بعدئذ جاءه مقيدا ، وهي حكاية اوردتها ابن بسام في
الذخيرة ونقلت في مصادر أخرى . فهذه الاخبار تدل
على اهتمام خاص بالاندلس ، وان كانت الاخبار عن
المشرق واهله أكثر واغزر . ولو جاءتنا الرسالة كاملة
لكانت أثرا حقيقا بالتحقيق والنشر ، فهي تلي ايجاز
في قصدها متنوعة الفوائد .

احسان عباس

مخاطبا الجني « قلت : مل بنا الى العلماء الحكماء ، فصار
يجد السيز الى أن بلغنا الى ربوة قد قامت على ربوع
انفساح ، تهب بها الرياح ، واذا أرض بديعة التقسيم
تستشعر النفس فيها الافواح ، ويهزها نسيم ازتياح ،
فقلت : ومنشئ هذه البنية ، ومفترض الفدية ، انهم
لعلماء حكماء وان فتى منزلهم لآية ، تنبئ على سعة
الدراية . ثم حللنا بناديبهم فرايت عليهم من السكون
ما لا كان مثله ولا يكون ، فسلمنا وردوا عن هدو. ووقفنا
فأشاروا بالدنو ، ثم قالوا : مرحبا بك يا بشير بن
النعمان وبصاحبك ، أى شيء أقدمكما وما مأمكما ،
فقال له بشير : ان بصاحبى لحاجة الى الاقتطاف من
زهركم والاقتنا. من ذرركم فقالوا مرحبا به وبمقدمه ،
أين منزلته من العلم ومحلّه من الفهم ، لنحتذى حذو
مقداره ، من ايراد القول واصدازه ، فقال : لا أثر بعد
عين ، ولا وجه مع التحقيق للبين . عندئذ ندبوا له
شيخا من شيوخهم اسمه عامر ، ومن غريب أن هذا
الانسى الذى ذهب «يقتطف من أزهار الجن» قد تصدى
للامتحان ، فأخذ عامر يسأله وهو يجيب ، وكانت
أجوبته هي المحصول الذى تضمنته سائر فصول الرسالة ،
ولا ندرى هل وجه فى الفصول التى ضاعت شيئا من
الاسئلة للجن ، وان كانت طبيعة أسماء الفصول لا تنبئ
عن ذلك ، وعلى هذا تكون الرسالة فى مجموعها متأثرة
بروح «التوابع والزوابع» فهي معرضة لقدرة كاتبها فى
الشعر والنثر وفى فنون ما يحسن من العلم ، غير انها
تفازق التوابع والزوابع فى خلوها من السخرية والنقد ،

الأمير مصطفى الشهابي وكتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية

الاستاذ أنور الجنيني - القاهرة

اطلاق كلمة (اطروحة) تعريباً لكلمة Thèse الفرنسية التي تعني الدكتوراه ولكنه يعارض أن تسمى شهادة العالمية ويقول ان اطلاق كلمة عالمية على الدكتوراه سيلزم اطلاق كلمة عالم على من ينال هذا اللقب ، ويفرق بين كلمة سافان Savant التي يطلقها الفرنسيون وكلمة عالم ، ويرى ان العالمية لا تعطى الا لمن اصبح كهلاً وأقنى العمر في التخصص والتفكير ، أما الدكتوراه فقد يحصل عليها الشاب في سن السابعة والعشرين من العمر ، ويقترح أن يطلق على حامل الدكتوراه لقب « حكيم » فيقال حكيم في الحقوق ، او حكيم في الآداب ، أو حكيم في الطب .

وفي مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) يكتب أول ما يكتب في آب 1924 تحت عنوان « قطع أغصان الشجرة » ويقول انه يبشر طبع كتاب (الأشجار والانجم الثمرة) ومكذبا بيما عمله بالتخصص في اللفظ الزراعي ، ولا يلبث أن يكتب عن « الوان الخيل وشياتها » ويبدا نشر موسوعته الأولى تحت عنوان الفاظ عربية لمعان زراعية عام 1925 ثم لا يلبث ان يختار عضواً في المجمع العلمي بدمشق فيلحق في آذار 1927 محاضراته الأولى بعنوان (تاريخ الزراعة في العالم العربي) .

ولقد لفت نظري منذ وقت بعيد وأنا أراجع معاركنا الأدبية موقفه من اسماعيل مظهر وردة عليه في محاولته اتهام العرب بالعقلية الغيبية ، وقد ذكر فيما نكر ان لديه من « خلط علماء يونان في كثير من العلوم ما يملأ مجلداً ضخماً » ، ومعنى هذا أنه كان قد واصل عمله العلمي بالرغم من مشاغله بمنصبه الرسمي اذ ذاك (مدير أملاك دولة سورية) .

وقد تناول الرد على اسماعيل مظهر مرتين ، مرة

في مناسبة صدور كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » للأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق يتجدد الحديث عن هذا الرائد في أكبر صحف المغرب احتفالاً باللغة العربية ، وذلك حتى يلتقى المشرق بالمغرب دائماً في مجال البحث العلمي .

والحق ان الامير مصطفى الشهابي منذ وضع قلمه على الورق ، وكتب ونشر في الصحف وهو حتى اليوم والى ما بعد من عمره الطويل المديد : « الرجل الذي اقا للزهر والخيل والنبات دولة كبرى في الادب واللغة العربية . »

ولقد حاولت ان اتتبع ذلك في مطالع حياته فاخذت اراجع مجلة المقتطف منذ عهد باكر حتى التقيت به لأول مرة - ولا أدري اذا كان قد فاتني مرة او مرات في ابريل 1925 يكتب أول شظاياها اللغوية بعنوان « اوصاف الخيل العربية في باب الزراعة » منذ ذلك اليوم سجل الامير مصطفى الشهابي مخطط حياته العلمية ورسم اتجاهها ، ومنذ قريب أصدر الامير احدى موسوعاته عن الالفاظ الزراعية وفي خلال ثلاثين عاماً كاملة كان ذلك ابرز عمله وانتاجه ، حتى في كتاباته الأدبية المرسله والانشائية تبسود دولة الزهر والخيل والنبات قائمة ممتدة . ومجموعة الكتب التي عرض لها منذ اتصل بمجلة المجمع العلمي العربي في (آب عام 1924) كانت كلها عربية وافرنجية متصلة بالزراعة والزهر والنبات .

فهو في مجلة المقتطف يؤكد في اولي ابجائه عن « تقدم العلوم والفنون الزراعية » انه قرأ منذ ثلاثة عشر عاماً بحثاً لعالم أجنبي في خزانة بايزيد في القسطنطينية ، قال هذا عام 1926 ومعنى هذا انه كان معنياً بهذه الدراسات منذ عام 1913 فيما قبل الحرب العالمية الأولى . ويكتب مصطفى الشهابي للدكتور صروف يلفت نظره الى الفرق بين كلمة عالمية وكلمة اطروحة ، ويحذ